الفصل الرابع عشر:

ملابسات تأسيس " جيش الدفاع الإسرائيلي "

رضوى عبد القادر

ما كان السرطان الصهيوني أن يتواجد، لو لم تسلك الصهيونية سبل الإرهاب، إذ يستحيل الحفاظ على ما أغتصبته، من أراضي وحقوق، بدون توسع الصهيونية، وكيانها في أعمال القتل والتدمير. ما جعل تكوين جيش الدفاع الإسرائيلي، أمر بالغ الإلحاح، بمجرد قيام دولة إسرائيل، أما قبل ذلك فكانت العصابات الصهيونية المسلحة الثلاث.

نشأة العصابات:

في ربيع ١٩٢٠، اتخذ مؤتمر أحدوت هعفوداه(*) قراره بشأن " الهاغاناه "، وكان نصه: " قرر أحدوت هعفوداه تنظيم مشاركة الشغيلة في الدفاع الشعبي عن البلاد، بخلقها مجموعة مخلصة، متأهبة، دائمًا. إن في إطار الكتائب العسكرية الإنجليزية أو في الشرطة، سيتم تنظيم الدفاع، ليكون تحت تصرف الذين سيشتركون فيه ". وكانت سنة ١٩٢١، سنة تأسيس وتدريب وتسليح " الهاغاناه "، وتزعمها إلياهو غولمب، الذي صرح: " لن نسمح بدخول روح العسكرية إلى المدارس اليهودية ". فيما كان رأي المسئول عن تدريب الضباط، حينذاك، إسحاق ساديه، بأنه " نحن من أنصار مواجهة مباشرة مع العدو، لكننا ضد اغتيال الناس العزّل

(*) **أحدوت هعفواداه**: حزب العمال المتحد، تأسس عام ١٩١٩، وانضم إلى الهستدروت (الاتحاد العام لعمال اليهود في إسرائيل)، عام ١٩٢٠.

" [١].

وصدر دستور " الهاغاناه "، في العام ١٩٢٤، الذي عرفها بأنها " منظمة عسكرية سرية "، استهدفت الحفاظ على الييشوف* *، بواسطة المليشيا الشعبية، ونص الدستور على أن أبواب الهاغاناه " مفتوحة لكل عبري، وعبرية، يبلغان من العمر سبعة عشر عامًا، وما فوق ". أي أن " الهاغاناه " أخذت بمبدأ الشمولية، في حين خضعت لإشراف الهستدروت، الممثلة لمصالح شريحة معينة في الييشوف اليهودي [٢].

في آيار/ مايو ١٩٣٨، تمت الموافقة على إنشاء " المفارز الليلية الخاصة "، المشّكلة من يهود الشرطة الإضافية الخاصة، والمدعّمة بضباط ورجال بريطانيين، على أن تتخذ هذه المفارز قواعدها في المستعمرات اليهودية، وذلك لمقاومة أعمال دخول السلاح، ومنع دخول الفدائيين إلى فلسطين. وكان إنشاء تلك المفارز، وعقد الدورة التدريبية لضباط " الهاغاناه "،و " الأراغون " حول قضية الالتزام السياسي، وهذا الاختلاف خدم المخطط الصهيوني، دون شك، فيما يتعلق بتوزيع الأدوار

(١) جاك بينودي (تعريب: فارس عضوب)، **تساحال، القوات الإسرائيلية، من الميليشيات الفلاحية إلى القوة النووية**، بيروت، شركة المطبوعات الشرقية، دار المروج، ١٩٨٥، صـ٣٣- ٣٥.

(*) **الييشوف**: كلمة عبرية تعني مستوطنة، أو استيطان، وكان هذا التعبير يُطلق، مجازًا، على المستوطنين الصهيونيين في فلسطين، قبل قيام الدولة الصهيونية، وعلى مؤسساتهم، وتنظيماتهم كافة.

(٢) عبد الحفيظ محارب، **هاغاناه، إتسل، ليحي، العلاقات بين التنظيمات الصهيونية المسلحة ١٩٢٧- ١٩٤٨**، ط١، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، آب/ أغسطس، ١٩٨١، صـ٢٧.

بين المنظمات العسكرية المختلفة. فقد شُكلت " الأراغون " على أساس إنشاء جيش صهيوني، أكثر تخصصًا، بعيدًا عن تيارات السياسة.

أما " الهاغاناه "، فقد ظلت تابعة للصهيونية (الاشتراكية)، تتلقى أوامرها من البيشوف، وترتبط عملياتها بالقرارات السياسية المعلنة. وهكذا، تحقق التوازن بين مطالب السياسة الصهيونية الخفية، ومطالب السياسة الرسمية. فبينما اندفعت " الأراغون "، بحجة التخصص العسكري، نحو العمل الإرهابي(***)، وغير المسئول، صارت " الهاغاناه "، تحت سيطرة الجهاز السياسي الصهيوني، أداة منفذة للسياسة الصهيونية، على الصعيد الرسمي.

وقد استتبع ذلك توزيع الأدوار بين المنظمتين. فمنذ صدور الكتاب الأبيض ١٩٣٩، تولت " الأراغون "، شن الحملات الإرهابية ضد القوات البريطانية، وكانت هذه الحملات عطاء للأعمال الخطيرة " الهاغاناه "، في الوقت نفسه. كما تولت " الأراغون "، إرهاب العرب، لمنعهم من ممارسة حقهم في الدفاع عن أرضهم، وممتلكاتهم.

فيما كلفت " الهاغاناه "، في هذه الفترة، بثلاث مهام أساسية، هي: تنظيم الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وإقامة المستعمرات، وشن العمليات العسكرية [١]. إن أنطوت العلاقة بين " الهاغاناه "، و " الأراغون "،

(***) تبنت " الأراغون "، سياسة كسر " الهفلغاه " : ككلمة هي المرادف لـ(ضبط النفس)، وكإصطلاح سياسي، هي المفهوم العام للسياسة، التي قيدت بها الوكالة اليهودية " الهاغاناه "، أثناء مواجهة الأخيرة مع العرب في فلسطين، وإن كسرت " الهاغاناه "، " الهفلغاه " في غير مرة. للمزيد: محارب، **مصدر سبق ذكره**، صـ٤٤:٤٦، صـ٥٩:٦٢.

(١) للمزيد انظر: محمد حسنين هيكل (محررًا)، **العسكرية الصهيونية، المجلد الأول**،

على فوارق كبيرة، في النواحي التنظيمية، والعقائدية، والسياسية، فهناك نقطة اللقاء، والمفهوم المشترك، بينهما، وهي " دور القوة المسلحة الصهيونية في إقامة الدولة وبنائها " [١].

بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥)، وفي حزيران/ يونيو ١٩٤٠، تحديدًا، حدث انشقاق خطير في " الأراجون "، تمخض عن ولادة منظمة جديدة، حملت في بداية تكوينها، إسم " إتسل في إسرائيل "، ثم ما لبثت أن تغير الإسم إلى " ليحي "، (اختصار الكلمات العبرية الثلاث " لوحامي حيروت يسرائيل "، أي " المقاتلون من أجل حرية إسرائيل "). وقد تمردت ليحي [*] على واقع تنافس " الهاغاناه "، و " الأراغون "، في التعاون مع السلطات الاستعمارية، ودعا " ليحي "، إلى التعاون مع دول المحور النازية، وقد عمدت مجموعة القيادة لتلك المنظمة إلى إصدار البيان رقم واحد، وفيه أعلنت إبعاد المسئوولين عن الانهزامية والفشل "، وأن " ليحي "، الممثل الوحيد لليهودية المقاتلة. " وهدفها أن تشكل، بأسرع وقت ممكن، وبجميع الوسائل، عاملاً يكون بمقدوره السيطرة على البلاد، بقوة السلاح " [٢]. وبذا انتهجت " ليحي "

المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، النشأة والتطور ١٨٨٧- ١٩٧٧، القاهرة، مؤسسة الأهرام، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٩٧٢، صـ١٣٩- ١٤٣.

(١) **المصدر نفسه**، صـ١٥٠.

(*) أسس " **ليحي** "، إبراهام شتيرن، فأطلق عليها عصابة شتيرن، وبعد اغتياله تزعمها ناتان فريدمان بيلين. وقد حُلت هذه الجماعة في انتخابات الكنيست الثانية (١٩٥١).

(٢) بن تسيون دينور، ويهود سلوتسكي (رئيسًا التحرير)، **سيفرتولدوت هاغاناه (كتاب تاريخ الهاغاناه)**، ٣ كتب (٨ أجزاء)، تل أبيب، معرخوت وعام عوفيد، ١٩٥٤- ١٩٧٢، طـ٣، ١٩٧١، الجزء الأول، المجلد الخامس، صـ٤٩٤. أورده: محارب، **مصدر سبق ذكره**، صـ١١٣- ١١٤.

أيديولوجية " الصهيونية المقاتلة "، فيما أعتنقت " الهاغاناه " أيديولوجية " الصهيونية العملية "، وسارت " الأرغون "، وفق أيديولوجية " الصهيونية السياسية " [1].

تعددت الأسباب لقيام العصابات الثلاث، كما تعددت أساليبها، إلا أن جميعها خدمت الهدف الصهيوني، بشكل أو بآخر، فكانت رغم تناقض سياستها، تكمل بعضها الآخر. كما اتفقت العصابات الثلاث على أن الإرهاب والوحشية، أفضل الطرق لتحقيق الحلم الصهيوني. فحتى إقامة " الدولة الإسرائيلية "، على جزء من أرض فلسطين، لا يمثل تحقيقًا للحلم، لأن الصهيونية تريد أن تكون أرض إسرائيل " من النيل إلى الفرات ".

من العالمية الثانية إلى التقسيم:

عقب انتهاء الحرب العامية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥)، بأشهرٍ معدودة، شهدت العلاقات بين العصابات الثلاث انعطافًا حادًا في مسارها، وقد انعكس هذا الانعطاف في انضواء هذه التنظيمات تحت لواء حركة واحدة، أطلق عليها إسم " حركة العصيان العبري "، التي لفظت أنفاسها الأخيرة، في أواخر يوليو/ تموز ١٩٤٦. وعادت العلاقات بين التنظيمات الثلاث إلى ما كانت عليه، فكثفت كل من " إتسل "، و " ليحي "، من نشاطهما العسكري، ضد سلطات الانتداب البريطاني، وعملتا على توزيع نفوذهما، في الوسط اليهودي، بينما ركزت " الهاغاناه " نشاطها في مجالي: الهجرة، والاستيطان، كما عادت إلى تعاونها التقليدي مع سلطات

(١) المصدر نفسه، صـ٩٨، ١١٣- ١١٤.

الانتداب، دون أن تتخلى عن حركة العصيان، وشعاراتها [١].

تأرجحت سياسة الوكالة اليهودية، في فترة ما قبل التقسيم، بين قبول التعاون بين التنظيمات العسكرية المختلفة، ورفضه، فكانت فئة، ترأسها مسئوول أمن الهاغاناه [*]، ووزير الدفاع، آنذاك، ديفيد بن غوريون، من المعارضين للفكرة، باعتبارها عاملاً سوف يثقل على كاهل العمل الصهيوني، في سبيل إنشاء الدولة الصهيونية. بينما كان الجانب الآخر، من زعماء الصهيونية (أي من زعماء " الهاغاناه ")، أمثال إلياهو غولمب، وإسرائيل غاليلي، وآخرون رأوا أن هذا التعاون سوف يحقق نفعًا عسكريًا ضروريًا، وتوازنًا مطلوبًا، بين أنواع المهام، التي تنفذها كل من تلك المنظمات [٢].

اشتعل الصراع بين العصابات الثلاث، وارتدى أشكالاً مختلفة، كالاشتباكات بالأيدي، والاختطاف، والسطو على مخازن السلاح، وكان يمكن أن تصل إلى حربٍ أهلية، لولا تطور القضية الفلسطينية، وطرحها على بساط البحث في أروقة الأمم المتحدة، الذي نتج عنه قرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩. وكانت " الهاغاناه "، قد وجدت أن أفضل وسيلة لإطفاء الحريق في الوسط اليهودي، هو إشعال حرائق في الوسط العربي، على شكل جرائم بشعة إقترفها بحق عدد من العائلات العربية. وإن ركزت

(١) للمزيد عن حركة العصيان العبري، انظر: **المصدر نفسه**، صـ٢٠٧- ٢٦٧.

(*) تمخض المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين، عن قرار تسليم حقيبة الأمن لرئيس الوكالة اليهودية، ديفيد بن غوريون، وبهذا بدأت عملية فصل السلطات بين الجناحين السياسي والعسكري. للمزيد انظر: محارب، **مصدر سبق ذكره**، صـ٢٧٩:٢٨١.

(٢) هيكل، **مصدر سبق ذكره**، صـ١٥٠- ١٥١.

" الأراغون "، و " ليحي "، على تغييب التناقض القائم بين المشروع الصهيوني، وسكان البلاد الأصليين، وعزّ سبب الخلافات بين الطرفين إلى الطرف الثالث، المتمثل بـ " الإدارة البريطانية "، بالنسبة لـ " الأراغون "،وبـ " الاستعمار البريطاني "، بالنسبة لـ " ليحي "، بسبب انتهاجه سياسة " فرق تسد ". في حين قلدت الأخيرة " الهاغاناه "، في مسلسل الجرائم البشعة ضد العرب، فيما تلقفت " الأراغون " تلك الجرائم من " الهاغاناه " دون أن تشجبها، أو تؤيدها، مستخدمة إياها كسلاح في حربها ضد " الهاغاناه " [1].

كما رفض الطرف العربي قرار التقسيم، رفضته، أيضا " الأرغون "،

و " ليحي " وإن اختلف سبب كل طرف لهذا الرفض، وكان هذا سببًا جديدًا لتوتر العلاقات بين هاتين العصابيتين من جهة، و " الهاغاناه " من جهةٍ أخرى. قبلت " الهاغاناه " قرار التقسيم، بعد ترويجها لفكرة التقسيم " الجيد "، والتقسيم " السيء "، فيما ميزت " الأرغون " بين فرحة الجمهور اليهودي، وبين القرار، معتبرة أن تلك الفرحه تعود إلى التبشير بقيام الدولة، وليس إلى التقسيم، الذى هاجمته بعنف، كما شجبت " ليحي "، القرار، فى بيان لها، أدانت فيه قادة " الوكالة اليهودية ". و مما جاء فى البيان: " أن الشعب العبري الساعي للحرية لن يوافق على تقسيم وطنه، وسلب حقه فى استقطاب جماهيره فى أرضه. إن البلاد لا تتحمل تقطيع أوصالها.

(١) للمزيد: محارب، **مصدر سبق ذكره**، صـ٣٠٦- ٣٢٠.

إن المؤسسات والقادة، الذين انبهرت عيونهم بالسلطة المزعومة، فى الدولة المجزأة، لا يمثلون مصالح الشعب فى الحاضر، ولا تلزم الشعب فى ترابطه التاريخي. وعسكريًا، أخضعت " الهاغاناة " نشاطها العسكري، فى الفترة التى تلت قرار التقسيم، لخدمة تنفيذه، بينما هدف التنظيمان الآخران إلى توسيع حدود الدولة المقترحة، مستعينين بالأسلوب الإرهابي، المتمثل بزرع القنابل الموقوتة، وإلقاء المواد المتفجرة، بين التجمعات العربية.

ولم تكن " الهاغاناه " بعيدةً عن هذا الأسلوب، وإن انتقدته، فقد نفذت عمليات كثيره مشابهة[١] فلقد وضعت الصهيونية استراتيجية محددة، انحصرت فى النقاط التالية[٢]:

(١) الاحتفاظ بالمستعمرات، مما يتطلب الحفاظ على خطوط المواصلات الطويلة.

(٢) تركيز الدفاع عن المستعمرات النائية.

(٣) تجنب أى صدام مباشر مع القوات البريطانية، حتى لا يؤدي ذلك إلى إعاقة خطط جلاء هذه القوات، وتأخرها.

(٤) العمل على خلق اتصال أرضي، داخل كل منطقة يسيطر عليها اليهود، وبين هذه المناطق، وبعضها البعض. وتكفلت قوات " الهاغاناه "، و " البالماخ " [*]، وحرس المستعمرات، بتنفيذ هذه الاستراتيجية العامة.

(١) للمزيد: **المصدر نفسه**، صـ٣٢٨- ٣٣٨.

(٢) هيكل، **مصدر سبق ذكره**، صـ١٥٢.

(*) " البالماخ "، قوة " الهاغاناه " الضاربة، أو صاعقة " الهاغاناه "، أسسها اسحق ساديه،

فيما تكفلت " الأرغون "، و " شيترن " بشن الحرب الإرهابية.

دير ياسين (١٩٤٨/٤/٩)، في هذه القرية الصغيرة، تآلفت العصابات الثلاث سرًا، لتحقيق أولى أبشع المجازر، في حق الشعب العربي، وخاصة المدنى منه، فمسلسل الجرائم الصهيونية، لا يزال مستمرًا.

نظمت هذه المجازر قوات " الأرغون "، بقيادة، مردخلي كوفمان، وقوات " ليحي "، بقيادة، يهوشع زتيلر، وعندما تسربت نوايا العصابتين، كتب قائد " الهاغاناه "، ديفيد شالتيل، إلى قادتيهما، الرسالة المؤرخة، في ٧ نيسان/ أبريل (قبل يومين من المجزرة): " أريد أن ألفت انتباهكم إلى أن الاستيلاء على دير ياسين، هو من ضمن خطتنا العامة. ليس لدي أي معارضة بأن تقوموا أنتم بهذا العمل، شرط أن تتمكنوا من السيطرة على الموقع، وإذا كان لديكم نقص في الوسائل، فأطلب منكم ألا تنسفوا القرية بالديناميت، لأن ذلك يؤدي إلى هجرة سكانها، واحتلال القوات الأجنبية للمنازل المدمرة، وإن مثل هذا الاحتلال سيرغمنا على التضحية بالعديد من رجالنا، لاستعادة القرية. وإذا ما احتلتها قوات أجنبية، فذلك يفشل مشروعنا، بإنشاء مطار في قطعة أرض مجاورة لها " [*].

وبعد أن قبّرت دير ياسين حوالي نصف سكانها، وسارع الصحافيون إلى المكان، بدأ شاتيل نفسه، بالتفكير، بكل المناورات الممكنة، لكي يحمل " الأرغون "، و " ليحي "، مسؤولية الأحداث، واستحصل بن غوريون، على حرم بحق " المنشقين "، من أكبر حاخامات إسرائيل، مؤكدًا إن "

عام ١٩٤١، وحلت عام ١٩٤٩، عندما تم تنظيم " تساحال " (جيش دفاع إسرائيل).
(*) بالفعل فيما بعد، أصبحت دير ياسين موقعًا لمطار " الهاغاناه ".

الهاغاناه " لاعلاقة لها بهذه " المجزرة الكافرة " ! على أن المفارقة تجلت، عشية إعلان قيام " الدولة اليهودية "، إذ شرعت " الهاغاناه "، و " ليحي "، في إجراء مباحثات، استهدفت تحقيق الوحدة بينهما. واستحوذ على المفاوضات موضوعان إجرائيان، (الأول)، تعلق بنصيب ضباط " ليحي " من المناصب العسكرية، في الجيش، عقب قيامه. أما (الثاني)، فاختص بإعفاء خمسين عنصرًا من عناصر " ليحي "، من الخدمة العسكرية، بغرض تفريغهم لمهام إنشاء حزب سياسي. ولم يغفر أحد قادة " ليحي "، في مذكراته، موقف ليفي أشكول، بخصوص تخفيض عدد المفرغين، " على الأقل خمسة "، بوصفه إياه " كتاجر صغير في سوق ".

وكان قرار الحل، والانضمام إلى " الهاغاناه "، صعبًا على " ليحي ". وفي غضون ذلك، صدر الأمر بتشكيل " الجيش الإسرائيلي "، فوجدت " ليحي "، الطريق ممهجة أمامها لدخوله، عقب اتفاقها مع " الهاغاناه " [١]. وكانت " الأرغون " توصلت بعد مفاوضات، إلى اتفاق وحدوي مع " الهاغاناه "، وانضمت إليه " ليحي "، ولن يتحقق ذلك الاتفاق، إلا بعد قيام الدولة، وإعلان قيام الجيش الإسرائيلي، الذي وحد بين صفوفه النظيمات الثلاث [٢].

(١) للمزيد عن مجزرة دير ياسين، وعلاقتها بالولايات المتحدة:
- بينودي، **مصدر سبق ذكره**، صـ٦٣- ٦٥.
- محارب، **مصدر سبق ذكره**، صـ٣٤٦- ٣٥٦.
(٢) **المصدر نفسه**، صـ٣٢٧.

تساحال:

إن أول عمل قامت به القيادة الإسرائيلية، عند نشوب الحرب العربية - الإسرائيلية ١٩٤٨، هو توحيد التنظيمات، والجماعات العسكرية، والإرهابية، تحت رئاسة واحدة، فأنشئ " تساحال "، رسميًا ١٩٤٨/٥/٢٧، (جيش الدفاع الإسرائيلي)، الذي تألف من جيش بري، وقوات بحرية، وطيران. وفي حالة الطوارئ، يتم التجنيد إجباري، تحدد الحكومة عمر المواطنين، الذين يلتحقون بالخدمة العسكرية، ومن المرسوم الذي يتم بموجبه تأسيس " تساحال " : " يمنع، منعًا باتًا، قيام أية قوة مسلحة، خارج جيش الدفاع، يكلف وزير الدفاع بتنفيذ هذا المرسوم ". وقد ترتب على ذلك، أن الجيش الإسرائيلي، جمع بين عدة قيادات مختلفة، من القادة العسكريين، تأثرت كل فئة منها بطبيعة المنظمة، أو الجماعة، التي انحدرت منها.

وعلى سبيل المثال، فغن القادة الذين خدموا في وحدات، وتشكيلات " البالماخ "، والعصابات الإرهابية، اتصفوا بالجرأة، والإقدام، واللامبالاة، مع اتقانهم لفنون حرب العصابات، بينما افتقدوا الخبرة، والدراية العسكرية الكاملة. بينما اتصف القادة، والضباط العاملين في " الفيلق اليهودي "، الذي كان يخدم مع الجيش البريطاني، أثناء الحرب العالمية الثانية، بمميزات القيادة الحقيقية، إلى جانب إلمامهم التام بالنواحي الإدارية، وشئون الضبط، والربط العسكري، مع القدرة على التصرف والتفكير. ونجد الفئة الثالثة، من القادة والضباط، وهم الذين هاجروا غلى إسرائيل، وكانوا يعملون في جيوش الدول التي وفدوا منها،

وغالبية هؤلاء من الفنيين، عملوا في السلاح الجوي الإسرائيلي [١].

أفضت فترة ما بعد التقسيم، إلى إنتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، إلى زيادة تشكيل القوة العسكرية الإسرائيلية، بالطرق التالية: [٢]

(١) - دخلت " البالماخ " الحرب، بأربع كتائب معبأة، تمامًا، منظمة داخل إطار لواء، ما لبثت أن أزدادت بسرعة إلى عشر كتائب، مقسمة إلى ثلاث ألوية، خضعت لقيادة مركزية، اتخذت مقرها بالقرب من القيادة العليا " للهاغاناه "، لتسهيل الاتصالات.

(٢) - انفصلت البحرية، والقوة الجوية الإسرائيلية، الوليدة عن " البالماخ "، وأخذت تتطور تدريجيًا، إلى أسلحة متميزة بفدائييها، وإن ظلت تابعة للقيادة العامة للجيش.

(٣) - كان عد كبير من الكتائب، التي تم سحبها من قوات الميدان، التابعة " للهاغاناه "، في حالة تعبئة عامة دائمة.

(٤) - تم تعبئة حرس داخلي، ضم الرجال والنساء الأكبر سنًا، والشبان، الذين قلت أعمارهم عن ١٨ عامًا.

(٥) - أقيمت الخدمات المختلفة، مثل النقل، والمساعدة الطبية،

---

(١) - بينودي، **مصدر سبق ذكره**، صـ٧٣- ٧٤.

- عقيد: فاروق حامد العزيزي، **صفات ومقومات الجيش الإسرائيلي**، القاهرة، وزارة الحربية، إدارة التوجيه المعنوي، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، د. ت، صـ٥٧-٥٨.

(٢) إيجال آلون، **بناء الجيش الإسرائيلي**، القاهرة، وزارة الإعلام، هيئة الاستعلامات، د. ت، صـ٣٥.

والدفاع المدني، والهندسة.

وكانت عقيدة " البالماخ "، التي تلقاها المتطوعون، في برامج التدريب، والتي ورثها جيش الدفاع الإسرائيلي، ويمكن تلخيصها، فيما يلي:(١)

١ - الافتخار بالأمة.

٢ - الموالاة لمبادئ الإشتراكية وحركة الكيبوتس.

٣ - الضبط والربط والالتزام.

٤ - المساواة.

٥ - التدريب على القيادة.

٦ - الدراسات الفكرية والثقافية.

أنشئت رُتب الضباط، وضباط الصف، أرفعها رتبة " لواء "، لم يشغلها غير شخص واحد، هو ياكوف دوري، رئيس هيئة الأركان الجديد، ورئيس هيئة أركان " الهاغاناه ". وكان تحويل " الهاغاناه "، إلى جيش نظامي لدولة مستقلة إسمًا، وليس مضمونًا، من ناحية معينة، ولكن من ناحية أخرى، كان التغيير في الواقع حقيقيًا، لأنه مّثل " التحول التاريخي لفلسطين لدولة يهودية مستقلة، والطائفة اليهودية إلى أمة ". وقد استغلت إسرائيل فترة الهدنة الأولى (١٩٤٨/٦/١١)، التي دامت لمدة

(١) عاموس بيرلموتر، **العسكريون والسياسة في إسرائيل**، ط١، دمشق، ترجمة: مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، (صدرت ط١ من الكتاب العبري، في لندن، ١٩٦٩)، ١٩٧٥، صـ٥٤.

شهر، وفرضتها الأمم المتحدة، فراحت " تساحال "، تستولي على مدن فلسطينية أخرى، بهدف توسيع الرقعة الاستيطانية، وإيجاد عمق جغرافي، يعطيها الوقت الكافي لتعبئة فرق الاحتياط، ويمنحه الشعور بالأمن، وفي فترة الهدنة الثانية (١٩/٧ - ١٠/١٠/١٩٤٨)، تمكنت الصهيونية من تزويد وحداتها بقوة بشرية جديدة، وتوزيع المزيد من المعدات الأفضل، التي زودتهم بها كل من تشيكوسلوفكيا، وفرنسا. كما عملت " تساحال "، على إعادة تنظيم التسلسل القيادي داخلها [١].

لقد تشكل الجيش، فور تأسيسه، من قوات عامله، بلغ عدد أفرادها، نحو ثلاثين ألفًا، انتظمتهم تسعة ألوية، ثلاثة منها ألوية ضاربة متحركة، وستة موزعة على المناطق العسكرية. وأضيف إلى هذه التشكيلات، القوات الاحتياطية، المؤلفة من مجموعات المستوطنين اليهود، والعاملين في المستعمرات، الذين كانوا يتولون الدفاع عن مستعمراتهم، ريثما تتمكن قوات جيش الدفاع من اللحاق بهم. وإلى جانب هذه الألوية، تم تشكيل ثلاثة أسراب جوية، وقوة بحرية صغيرة. وكانت أول مهمة حددها وزير الدفاع للجيش، هي: " السيطرة على كل المنطقة المخصصة للدولة اليهودية، والدفاع عن حدودها، وتأمين الحماية للتجمعات، والمنشآت اليهودية، بواسطة المستوطنين اليهود، حتى لو كانوا خارج تلك الحدود، وذلك ضد قوات الأعداء، النظامية وغير النظامية، التي تعمل من قواعد

(١) - آلون، **مصدر سبق ذكره**، صـ٣٦- ٤٠.
- كميل منصور (رئيس التحرير)، فوز عبد الهادي (مساعد رئيس التحرير)، **إسرائيل: دليل عام ٢٠٠٤**، طـ١، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، آيار/ مايو ٢٠٠٤، صـ٥٠٠.

خارج حدود الدولة اليهودية، أو خارجها ". وقد بنت القيادة الأسرائيلية، الجيش على اساس التنظيم اللوائي، فجعلت اللواء وحدة مقاتلة، ذات اكتفاء ذاتي، ضمت مختلف صنوف الاسلحة ن كالمدرعات، والمدفعية، والهندسة، ووحدات الدعم والخدمات. ولقد حددت القيادة للواء صفة رئيسية، يجب أن تتوفر فيه، هي القدرة على التحرك والقتال، وحده. ولهذا سعت القيادة إلى تنمية روح المبادرة، واتخاذ القرار، والتصرف الذاتي، لدى قادة اللواء، وأركانه، وضباطه. وقد تألف الجهاز الدفاعي، في إسرائيل من: جيش نظامي محترف، قوامه الرئيس، والضباط، والاختصاصيون، خدمة إجبارية، يجند فيها الفتيان والفتيات (من عمر ١٨ سنة)، قوات احتياطية تشكل القسم الأعظم من الجيش، في زمن الطوارىء والحرب، نظام دفاعي للمستعمرات. وفى اطار هذا الجهاز، تم تحديد الوظائف الرئيسية للجيش [١].

تحقق للجيش الإسرائيلي وفرة من الخبرات المكتسبة، إذ أمدته " الهاغاناه "، و " البالماخ " بالخبرة الواسعة، في حرب العصابات، والمعرفة الطبوغرافية بالأرض، فضلاً عن ترسيخ المفاهيم الأيديولوجية، والعقائد الصهيونية، بين أفراد القوات الإسرائيلية. أما ضباط " الفيلق اليهودي "، والمتطوعون الأجانب، فأمدوا الجيش بالمبادىء والنظم، وبنظريات، وتعاليم المدارس العسكرية الأجنبية، وأخصها البريطانية، بالإضافة إلى الخبرة العريضة المستخلصة من القتال المنظم، خلال

(١) **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، المجلد الثاني، دمشق، هيئة الموسوعة الفلسطينية، ط١، ١٩٨٤، صـ١٢٧- ١٣٢.

الحرب العالمية الثانية [١].

كما وضع الإسرائيليون أهدافًا محددة، وثابتة، ليحققها نظام التربية العسكرية، في دولتهم، تتلخص فيما يلي [٢]:

(١) تنمية عقيدة القتال الإسرائيلية، في نفوس الإسرائيلين كافة.

(٢) بث روح الكراهية، والحقد في نفوس الإسرائيليين على المواطنين العرب.

(٣) الوصول إلى التفوق النوعي للمقاتل الإسرائيلي، من ناحية التدريب، والتنظيم، والتسليح، والروح المعنوية.

أما عن العصابات الثلاث، والجيش، فبقدر ما عجل إنشاء الجيش في تحقيق وحدة العصابات، فإنه أثار امتعاض " الأرغون "، و " ليحي " لما اتسم من اسم الجيش. فقد حرص المسؤولون عن إطلاق التسمية على الاحتفاظ باسم تنظيم " الهاغاناه " (الدفاع) كصفة للجيش الإسرائيلي. وأصحاب التسمية، هم من أوساط " الهاغاناه "، الراغبين في رؤية الجيش الإسرائيلي، وريثًا لمنظمتهم.

ومما زاد من امتعاض التنظيمين الآخرين، خاصةً " الأرغون "، الأمر اليومي، الذي أصدره بن غوريون، بخصوص إقامة " جيش الدفاع الإسرائيلي "، وفيه حاول رفع مكانة " الهاغاناه "، في الجيش على حساب العصابتين الأخريين، فقد جاء في الأمر: " مع إقامة دولة

(١) هيكل، **مصدر سبق ذكره**، صـ١٧٣.
(٢) العزيزي، **مصدر سبق ذكره**، صـ٥١.

إسرائيل، خرجت (الهاغاناه) من العمل السري، وتحولت إلى جيش نظامي ". وقد جاء في الأمر، أيضًا، سرد لتاريخ " الهاغاناه "، ونضالها، وتطرف إلى الهجرة الثانية، وإلى منظمة هاشومير(*)، والكتائب العبرية، إلى قيام " الهاغاناه " وأسلحتها المختلفة، وإشادة بها، دون ذكر لأي من " الأرغون "، أو " ليحي "، وإن أشير إليهما، بشكلٍ عام(١). ومع ذلك، فإن الامتعاض لم يكن بوسعه الوقوف أمام وحدة التنظيمات، فقد توافر الشرطان الأساسيان، اللذان لطالما طالبت بهما كل من " الأرغون "، وتفاقم الحرب العربية - الإسرائيلية، الأمر الذى دفع بالتنظيمات إلى الوحدة والاندماج. وفي الأول من حزيران/ يونيو ١٩٤٨، أعلن عن الاتفاق الشهير، بين قائد " الهاغاناه "، يسرائيل غاليلي، وبين قائد " الأرغون "، مناحم بيغن، الذي تم بموجبه دخول الأخيرة الجيش الإسرائيلي، المشكل أساسًا من " الهاغاناه ". وقد استمر وجود التنظيمات الثلاث، بعد هذا الاتفاق، في القطاع اليهودي من القدس، باعتباره خارج السلطة الرسمية للدولة اليهودية. وبسبب من هذا الواقع، إلى جانب رواسب الماضي، وتبعاته، شهدت التنظيمات فصلها الأخير، عقب قيام الدولة بفترة، على حساب الجيش الإسرائيلي، المنصوبة تحت كنفه (٢).

(*) هاشومير: الحارس، منظمة يهودية لحماية النفس، تأسست سنة ١٩٠٩.

(١) دافيد بن غوريون، **هيلاحم عام (في نضال الشعب)**، ط٣، تل أبيب، إصدار مباي، ١٩٥١، صـ١١٣- ١١٤ (بالعبرية). أورده: محارب، **مصدر سبق ذكره**، صـ٣٦١. للمزيد، انظر: **المصدر نفسه**، صـ٣٥٩- ٣٦٢.

(٢) دافيد نيف: **معرخوت هأرغون هتسضائي هليئومي: تاريخ المنظمة العسكرية القومية (إتسل)**، جـ٦، صـ٢١٤، أورده: محارب، **مصدر سبق ذكره**، صـ٣٦١:٣٦٢.

ميزانيات " تساحال "، وإمكاناته

كان عدد " الهاغاناه "، في عام١٩٤٦، حوالي ٤٥٠٠٠ رجلاً، وإمراة، أي ٧% من مستوطني الييشوف. وكانت ميزانية " الهاغاناه " أقل من٤٠٠.٠٠٠ جنيه فلسطيني (مساوٍ للاسترليني)، وكان لدى وحدات الميدان التابعة " للهاغاناه "، ٧٠٠ ضابط مدرب، مسئولين عن ٧٠٠٠ رجل جميعهم متطوعون، وبلغ عدد ألوية الشباب ١٠.٠٠٠ [١]. وفي حزيران/ يونيو ١٩٤٧، عندما تسلم بن غوريون منصب الدفاع، سعى لتحقيق مهمتين: الأولى: إعادة تنظيم " الهاغاناه "، لجعلها مسؤولة تجاه السلطات الوطنية فحسب، والثانية: التعبئة السريعة والشاملة للرجال، والموارد، حتى يكون للييشوف جيش جاهز للتصدي للجيوش العربية المتوقعة. ومع حلول تشرين الأول/ أكتوبر١٩٤٧، ارتفعت ميزانية " الهاغاناه " إلى ٣، ٣ مليون جنيه، وهي أعلى ميزانية في تاريخ " الهاغاناه " [٢] كما ارتفعت حصيلة حجم الأسلحة، لدى التنظيم المذكور، فأصبحت حوالي ١٠ آلاف بندقية، و٢٠٠٠ رشيش، و٢٠٠ رشاش ثقيل، و٥٠٠ رشاش خفيف، و٨٠٠ هاون، بينما تكاد تنعدم المدافع، والدبابات، والطائرات الحربية، والسفن [٣].

عند بداية الحرب، كانت القوة البشرية " لتساحال "، تزيد عن ٥٠

(١) ديفيد بن غوريون: **من المفكرات، نيسان/ آيار١٩٤٨، معريب، ٣٠ نيسان/ إبريل١٩٦٨، صـ٢٥، (بالعبرية)**. أورده: بيرلموتر، مصدر سبق ذكره، صـ٦٥.

(٢) دينور وسلوتسكي: **مصدر سبق ذكره**، المجلد الثاني، جـ٣، (تل أبيب، معراقوت، ١٩٥٩)، صـ٤٤.

(٣) بينو دي: **مصدر سبق ذكره**، صـ٦٦.

ألف جندي، ارتفعت، في نهاية الهدنة الأولى، إلى ٦٠ ألف، وجاءت معظم هذه الزيادة، في ألوية المشاة، والخدمات، والقوات الجوية، التي تضاعفت قوتها البشرية. واهتمت القيادة العامة للجيش بإنشاء الإدارات اللازمة لتنظيم القوى البشرية، واهتمت القيادة العامة للجيش بإنشاء الإدارات اللازمة لتنظيم القوى البشرية، خدمة للتجنيد، والتعبئة، وتسجيل المجندين، وتوزيعهم. كما أنشأت نواة لإدارة " الخدمة الفنية السيكولوجية "، لفرز الحرفيين، والقادة، والوقوف على كفاءاتهم، ومهاراتهم، و للمساعدة في تصنيف القوى البشرية، المعبأة من مصادر عديدة متباينة. وجاء قسم كبير من الجنود على شكل متطوعين من الخارج، ممن تدفقوا على فلسطين، من دول غرب أوروبا والأمريكتين، ووصل عددهم، أثناء الحرب، إلى حوالي ٢٤٠٠ متطوع من المحترفين، وأصحاب التخصصات الهامة. وأطلق على فئة المتطوعين الأجانب اسم " محل "، التي لم تنحصر أهمية رجالها في عددهم فحسب، بل أيضًا، في خبرتهم القتالية العالية. لذلك كان معظم أفراد القوات الجوية من " محل "، خاصةً طياري مسرشميث، والقلاع الطائرة، وكذا كل أسراب القاذفات، والنقل، كما أنهم قاموا بتدريب من خلفهم، من يهود فلسطين. وشغل أفراد " محل " وظائف رئيسية، في البحرية كرؤساء أركان، وقادة للسفن، ورؤساء للأفرع. أما في الجيش، فلم يزد عددهم عن ٣٠٠ فرد، خدموا جميعًا في اللواء السابع المدرع، وهؤلاء أطلق عليهم اسم " جحل " (كتاب المهاجرين المحاربين)، ووصل هؤلاء المجندين إلى فلسطين، بعد منتصف عام ١٩٤٨. ولم تقتصر مصادر القوى البشرية "

لتساحال " على ذلك، فحسب، بل إن الصهيونية لجأت إلى استئجار المحاربين المرتزقة، من هنا وهناك، طبقًا لعقود خاصة، الذين عادوا إلى بلادهم، بعد انتهاء الحرب [١].

خلال الهدنة الثانية للحرب، تدفقت الأسلحة على الصهاينة في فلسطين، واشتملت على الطائرات، ودبابات الشيرمان، والمدافع، وكافة أنواع الأسلحة، والمعدات. وقد تنوعت أساليب الحصول على الأسلحة، بين الشراء، والتهريب، والسرقة، والقرصنة، أيضًا. فقد حدث أن اشترت سوريا، في مطلع ١٩٤٨، صفقة أسلحة من تشيكوسلوفاكيا، وأثناء شحنها، في ميناء باري بإيطاليا، تمكن عملاء " ريجيش " (إدارة الأسلحة الصهيونية) من تخريب السفينة، وإغراقها. وأرسل ضابط سوري، لإنقاذ الشحنة، فتمكن من انتشال ٨٥٠٠ بندقية، وبينما كانت السفينة في عرض البحر، اعترضها سفن البالماخ، واستولت على الأسلحة، و السفينة، بعد أن تمكن بعض العملاء من التسلل إليها [٢].

عشية حرب ١٩٤٨، كان لدى القوات الإسرائيلية: ٨٠٠ هاون، من عيارات مختلفة، و٧٥ مدفعًا مضادًا للدباب، و٤ مدافع ميدان. وفي شهر تشرين الأول/ أكتوبر من العام نفسه، أصبح لديهم ٢٠٠ مدفع هاون، بين خفيف ومتوسط، و١٢٠ مدفع هاون ١٢٠ ملم، و٦٧٥ مدفع م/دو،

(١) هيكل: **مصدر سبق ذكره**، صـ٦١:٦٢.

(2) Lorch, Netanel: The Edge of the Sword. NY. Potman. 1961.

أورده: هيكل، **مصدر سبق ذكره**، صـ ١٧٦:١٧٧.

و ٢٥٠ مدفع ميدان [١].

تشكلت أول وحدة مدرعة إسرائيلية، أثناء الهدنة الأولى لحرب ١٩٤٨، وأسسها الجنرال، إسحق ساديه، وكانت هذه الوحدة المدرعة الأولى، هي الكتيبة المدرعة المسماة أس/١٠، وتألفت، في البداية، من ٦ سرايا، إثنتان منها فقط من الدبابات، ضمت واحدة ١٠ دبابات فرنسية، من طراز " هوتشكيس "، وعرفت بالسرية الروسية، لأن غالبية أفرادها انحدروا من أصول يهودية روسية، أو بولندية، فكانت تتحدث الروسية. أما السرية الأخرى، فضمت ٣ دبابات[*]، إحداها أمريكية، من طراز " شيرمان "، والأخريتان بريطانيتان، من طراز " كروميل "، وقد حملت هذه السرية اسم " السرية الإنجيلزية "، حسب اللغة السائدة فيها. وكانت باقى سرايا الكتيبة، من المصفحات (معظمها مصفح محليًا)، و عربات الجيب المسلحة [٢] إلا أن عمليات المدرعات الإسرائيلية، خلال حرب ١٩٤٨، لم يكن دورها هامًا، أو فعالاً، وأن المشاة، والعربات المصفحة، وعربات الجيب، والهاونات، كانت هي الأسلحة الأساسية للقوات الإسرائيلية، في هذه الحرب، وذلك لعدم توفر سدنة دبابات مدربين، وعدم تمتع ضباط " الهاغاناه " بفهم تكتيكي، وتقني كافٍ. لذا استخدمت الدبابات المحدودة، التي توفرت لدى الجيش الإسرائيلي، بواسطة أطقم

(١) د. كيلاني هيثم: **المذهب العسكري الإسرائيلي**، دمشق، وزارة الدفاع، ١٩٩٩، صـ٧٨:٨٥.

(*) أخذت " الهاغاناه " الدبابات الثلاث من الجيش البريطاني، عشية انسحابه من فلسطين.

(٢) أمين محمود عطايا: **الجيش الإسرائيلي ١٩٤٨ - ١٩٩٥، التطور - العتاد - الاستخدام القتالي**، ط١، بيروت، المنارة، ١٩٩٥، صـ٨٦:٩٠.

أجنبية. فلم تخرج كل المعارك التي اشتركت فيها الدبابات الإسرائيلية، عام ١٩٤٨، عن كونها محاولات تجريبية أولية، للتعرف على الدبابة، كأداة قتال من جانب الجيش الإسرائيلي [١].

أما سلاح المشاة الإسرائيلي، فقد نما قبل ١٩٤٨، ضمن سلاح الميدان، وسرايا " البالماخ "، وشاركت القوات الصهيونية، في حرب ١٩٤٨، بـ١٢ لواء مشاة، وفي أواخر الحرب تم تنفيذ عدة عمليات، اشتركت فيها مجموعات من ألوية ضمن تشكيل واحد، ومعركة واحدة، حيث كان التنسيق العملياتي بينهما وثيقًا جدًا. وفي تلك الحرب، والفترة التالية المباشرة لها، فإن وحدات المشاة ظلت تشكل القوات الرئيسية في القوات البرية الإسرائيلية، التي وقع على عاتقها، بصورة أساسية، تحقيق أهداف الحرب، في ميدان القتال. وأصبح المفهوم الإستراتيجي الإسرائيلي، بعد حرب١٩٤٨، إذا ما نشبت حرب بمبادرة عربية، يقوم على مبدأ الرد والصد، بواسطة القوات النظامية، والاحتياطية الإسرائيلية، ومن ثم نقل الحرب إلى أرض " الخصم ". وحمل هذا المفهوم في المصطلحات العسكرية الإستراتيجية، اسم " المفهوم الدفاعي الهجومي " [٢].

جويًا، خاضت إسرائيل حرب ١٩٤٨، ولم يكن لديها، في البداية، أكثر من ٩ طائرات خفيفة، و٢٥ طيارًا، ولم تمض ستة أشهر، حتى

(١) محمود عزمي: **القوات المدرعة الإسرائيلية عبر أربع حروب**، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، حزيران/ يونيو ١٩٧٥، صـ٩٠.

(٢) عطايا: **مصدر سبق ذكره**، صـ٤٠:٤٣.

أصبح لدى " إسرائيل "، أسراب من الطائرات المقاتلة، إلا أنه لم يكن لأعمال الطيران الإسرائيلي نتائج هامة، وإن انفردت إسرائيل، فيما بعد، بميزة السيطرة الجوية على مسرح العمليات [١].

هزل وتواضع دور البحرية الإسرائيلية، منذ قيام " الدولة الصهيونية "، وحتى أواخر الستينات، بسبب إعطاء الأولوية للقوتين البرية والجوية، فضلاً عن أن القوة البحرية العربية، وقتذاك، لم تكن تشكل تهديدًا حقيقيًا، إلا في النصف الثاني من الستينات. فلم يكن لدى إسرائيل، خلال عام ١٩٤٨، إلا ١٧١ بحارًا، وقطعة حربية أساسية واحدة، هي السفينة " إيلات "، إضافةً إلى سفن الشحن، التي تم تأهيلها، لتصبح سفن قتال، زودت بمدافع قديمة، لا يزيد عيارها عن٦٥ ملم [٢].

عمد بن غوريون إلى إرساء أفكار محددة، لتنظيم العلاقة بين الجيش، والمستوى السياسي، وهي [٣]:

(١) أن يكون الجيش وطنيًا، رسميًا، وغير مُسيّس.

(٢) أن تكون السلطة العليا في تقرير الحرب والسلام، في إسرائيل، هي للمستوى السياسي.

(٣) أن يكون وزير الدفاع، هو الحكم النهائي للنزاعات بين المدنيين،

---

(1) Lutt Work, Dan Horowitz: The Israel Army, Pub Allen Lone, 1975, PP. 81:99.

أورده: عطايا، **مصدر سبق ذكره**، صـ ١٨٢:١٨٣.

(٢) **المصدر نفسه**: صـ٢٦٥:٢٦٨.

(٣) بيرلموتر: **مصدر سبق ذكره**، صـ٧١.

والعسكريين.

(٤) أن يشرف وزير الدفاع، مباشرة، ودائمًا، على الشئون المتعلقة بالأخلاق والمعنويات، والمستوى المهني، لضباط الجيش.

(٥) إتباع أسلوب مركزي متقدم في اتخاذ القرارات المتعلقة بأمور الدفاع، وقضايا السياسية الخارجية.

كما سعى بن غوريون، لتحقيق الآتي [١]:

(١) تجميع جميع الوظائف، والمهمات المتعلقة بالأمن، والتي كانت تتولاها، في السابق، منظمات سياسية، أو عسكرية مستقلة، جمعها في سلطة مركزية، تحت إمرته.

(٢) تحديد، وفصل وظيفتي رئيس الأركان، ورئيس الحرب، التي كانت قبل ذلك وظيفة واحدة، تحت إمرة رئيس " الهاغاناه ".

فيما سعت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، إلى تنمية اتجاهات أساسية، يشكل عن طريقها المقاتل الإسرائيلي: الاتجاه **الأول**: اعتبار إسرائيل دولة عسكرية، أو منطقة تجمع للشباب اليهودي، القادر على حمل السلاح، من أجل القتال، حفاظًا على بقاء إسرائيل. معتمدة بذلك على مبدأ " اضرب أولاً، ثم برر بعد ذلك أي شيء من موقف القوة "، والاتجاه الثاني: رأى أن " الحروب هي محاصيل اليهود "، فالحرب بالنسبة لليهود باب مفتوح، عن طريقها يستجدون المعونات، والهبات، والمنح، سواء من الدول التي

(١) المصدر نفسه: صـ٧١.

تساندهم، أو من التنظيمات الصهيونية العالمية، أو من الأفراد اليهود الأثرياء، في جميع أنحاء العالم، الذين يكسبون هم أنفسهم، من هذه الحروب، فيما أكد الاتجاه الثالث: على ضرورة نسيان اليهود خلافاتهم الشخصية، واتحادهم في وجه العرب، رغم الصراع الحقيقي، بين اليهود الغربيين، واليهود الشرقيين، بينما كان الاتجاه الرابع: حول كون إسرائيل هي العدو الأول للوطن العربي الكبير [1].

" التالينا " :

" التالينا "، اسم سفينة اشترتها " الأرغون "، في صيف ١٩٤٧، من بحرية الولايات المتحدة الأمريكية، لنقل خمسة آلاف مقاتل مدربين، للشواطئ الفلسطينية، فضلاً عن نقل كميات كبيرة من الأسلحة، حصلت " الأرغون " على جزء بسيط منها، عن طريق شرائها، من أوساط مختلفة، من فرنسا، والجزء الأساسي منها، من حكومة فرنسا بالذات. وقد أبحرت تلك السفينة، في ليل التاسع من حزيران/ يونيو ١٩٤٨، (فترة الهدنة الأولى)، من باريس، وكانت المخاوف من إجراءات التفتيش، في تل أبيب، فاستعدت الحكومة للتعاون، بإنزال الحمولة، في كفر فنيكين، شمال ناتانيا (على بعد ٥كم من تل أبيب)، بشرط أن تكون حصة " تساحال " ٢٠% من الأسلحة، والباقي يكون للقوات التي تحارب في القدس، إلا أنه نشب خلاف على كيفية التوزيع، فأراد بيغين أن يتأكد من تسليم الأسلحة، أولاً، إلى مقاتلي " الأرغون "، في القدس، وراح بن غوريون يقول، حتى يستفيد من الوضع: " لا شئ لبيغين، ستسلم كل الأسلحة إلى هيئة

(١) للمزيد، انظر: العزيري، **مصدر سبق ذكره**، صـ٧٦:٨٠.

الأركان. تأخذ كل وحدة حسب حاجتها ". وفيما حضر بيغين ومقاتلوه لاستقبال " التالينا "، في ٦/٢٢ رد بن غوريون: " يعتقد بيغين خطًا أن في هذه البلاد مكانًا لجيشين، يجب أن نمنعه عن عمل ما يروق له " !. وبالنتيجة، تلقى " تساحال " الأمر بإطلاق النار على عصابة بيغين، إذا لم تذعن للأوامر!. وبدأ إطلاق النار، وانفجارات القنابل، بين الجهتين " الأرغون "، و " ليحي "، من جهة و " البالماخ "، من الجهة الأخرى، إلى أن تم إحراق " التالينا "، وقفز طاقم السفينة إلى الماء، ووصل أفراده سباحة إلى الشاطئ، وترك الجميع " التالينا "، وعلى رأسهم بيغين، بواسطة الزوارق الصغيرة، ولفظت تلك السفينة أنفاسها على شاطئ تل أبيب، في ٢٣ حزيران/ يونيو(*)، فيما استغل بن غوريون تلك الحادثة، متسلحًا " بالشرعية والقانون " ووجه ضربة موجعة إلى " الأرغون "، فنشرت الحكومة المؤقتة مرسومًا، وضع " الأرغون "، و " ليحي " خارج القانون، وتم توقيف أعضائها، تمهيدًا لمحاكمتهم (١).

وجد بن غوريون، في حادث اغتيال وسيط الأمم المتحدة، لحل النزاع العربي - الإسرائيلي، السويدي الجنسية، الكونت فولك برنادوت (١٩٤٨/٩/١٧)، مبررًا قويًا لتصفية " ليحي "، في القطاع اليهودي بالقدس. فرغم إعلان منظمة أطلقت على نفسها اسم " حازيت همولیدت "

(*) بلغت حصيلة الاشتباكات أحد عشر قتيلاً (عشرة من " الأرغون "، وواحد من الجيش)، وعشرات الجرحى (انظر: محارب، **مصدر سبق ذكره**، صـ٣٧٨ - ٣٧٩).

(١) للمزيد عن " التالينا "، انظر:

- بينودي، **مصدر سبق ذكره**، صـ٧٥:٧٩.
- محارب، **مصدر سبق ذكره**، ٣٦٧:٣٨١.

(جبهة الوطن) مسؤوليتها عن اغتيال برنادوت، بحجة أنه " عميل مكشوف للعدو البريطاني، مهمته تحقيق المشاريع البريطانية لتسليم بلادنا إلى الحكم الأجنبي ". فإن هذا البيان متفق، تمامًا، مع اتجاهات " ليحي " (من وجهة نظر مختلف التيارات الإسرائيلية) تجاه برنادوت. ومساء يوم الاغتيال، عقد بن غوريون اجتماعًا، مع عدد من وزرائه، شرع في نهاية الاجتماع، بتنفيذ حملة شملت اعتقال أعضاء ليحي جميعهم، ومصادرة أسلحتهم، وإطلاق النار على كل من يتصدى لذلك. وبناءً على جملة من القرارات، استولت قوات من الجيش والشرطة الإسرائيلية على قاعدتي ليحي، في الجزء اليهودي، من القدس. وهكذا، كانت نهاية " ليحي "، مثل ولادتها، وسط أجواء المحاصرة والاعتقال [١].

ورغم كون " الأرغون " غير مشتركة في عملية الاغتيال، فإن يد بن غوريون قد طالتها، أثناء تضييق الخناق على عناصر ليحي، فقدم رئيس شعبة العمليات في الجيش، يغئال يادين، إلى قائد " الأرغون "، في القدس، شموئيو كاتس، أمرًا، في ١٩٤٨/٩/٢٠، نص على [٢]:

(١) تمثيل جماعة اتسل، في القدس، لقوانين دولة إسرائيل، فيما يتعلق بالجيش، والتعبئة، والأسلحة.

(٢) انضمام جميع أعضاء اتسل، في سن التجنيد، إلى جيش الدفاع الإسرائيلي.

---

(١) **المصدر نفسه**، صـ٣٨٢:٣٩٠.

(٢) ديفيد بن غوريون: **إسرائيل تاريخ شخصي**، الجزء الثاني، القاهرة، المخابرات العامة، مركز البحوث والمعلومات، د. ت، صـ١١٢:١١٣.

(٣) تسليم جميع أسلحة اتسل إلى جيش الدفاع الإسرائيلي.

(٤) كل شخص ينضم للجيش يؤدي يمين الولاء المعتاد.

(٥) يعامل أعضاء اتسل المعاملة نفسها، التي يلقاها كل يهودي آخر.

(٦) في حال قبول اتسل هذه الشروط، في ظرف ٢٤ ساعة، يتم حل إتسل، وتسليم أسلحة مقاتليها، والانتظام في سلك جيش الدفاع، " فلن يضار أحد منكم، ولسوف تعاملون بالطريقة نفسها التي يعامل بها كل يهودي آخر ".

(٧) إذا لم تنفذ الشروط المذكورة، آنفًا، بتمامها، في ظرف الـ٢٤ ساعة، فسيتخذ الجيش الإسرائيلي جميع الإجراءات اللازمة لوضع هذا القرار موضع التنفيذ. وبالفعل امتثلت " إتسل " لمطالب الحكومة الإسرائيلية.

لم يكن من الميسور، على بن غوريون التصدي للبالماخ، بالأسلوب نفسه، الذي عامل به " الأرغون "، في بداية الحرب، باعتبار البالماخ الجيش النظامي الفعلي، الذي تعتمد عليه الصهيونية، في هذه المرحلة الحاسمة من العمل، لذلك أجل أمرها إلى مرحلة تالية [١].

حُلت قيادة " البالماخ "، وأُنشئت وحدة جديدة سميت " نحال " (١٩٤٨/٩/٢١) (الحروف الأولى للكلمات العبرية، التي تعني " الشباب المقاتل الرائد ") هدفت، جزئيًا، لتحل محل " البالماخ "، لذلك تم على

(١) هيكل: مصدر سبق ذكره، صـ١٧١:١٧٢.

أساس جماعي، وفردي، تنظيم حركات الشباب الوليدة، جميعها. بحيث ضمت كل فصيلة وحدة عسكرية، ومجموعة من المستوطنين، المنتظرين، في آن واحد [1].

وبعد، فلم ينجح " جيش الدفاع الإسرائيلي " من سمات أسلافه العصابات المسلحة الصهيونية الثلاث، فيما ترك ذاك الجيش بصماته على الحركة السياسية الإسرائيلية، ولهذا دراسة أخرى.

* * *

(١) آلون: **مصدر سبق ذكره**، صـ٤١.